C.Ü. İlahiyat
Fakültesi Dergisi
X/2 - 2006, 363-380

الفروق الدلالية بين الألفاظ المفسَرة والمفسِرة (نموذج كلمة "الحمد" من سورة الفاتحة)

الدكتور غالب ياووز*

Özet

Bu makalede, müfesser (açıklanan) ve müfessir (açıklayan) kelimelerin, anlamsal ve kavramsal farklılıklar taşıdıklarını ispat edebilmek için önce, lafız ve mânâ ilişkisine dilbilimsel açıdan değindik. Daha sonra, Fatiha sûresi ve tefsirinden seçtiğimiz bazı kelimeleri ayrı ayrı etimolojik ve semantik tahlile tabi tutup, kavramlar ya da kelimeler arasında mukayese yapılabilecek bir bilgi zemini sağladık. Böylelikle, bir kelimeyi başka bir kelimeyle anlatmanın, açıklamada kaçınılmaz bir yol olmasıyla birlikte, eşanlamlılık varsayımından yola çıkmanın zihinsel kaymalara neden olduğunu göstermeğe çalıştık.

Anahtar Kelimeler: Lafız, Mânâ, Eşanlamlılık, Fatiha, Etimoloji

Abstract

In this article we have first touched on the utterance-meaning connection of explained (mufassar) and explaining (mufasseer) words and their linguistic background in order to prove that they bear semantic and conceptual differences. Then etymologycally and semantically analyzing some words we chose from the sûra Fatiha and its commentary separetely, we have provided the required information ground enabling comparisons between concepts and words, and thus we have tried to show that setting out from the supposition of snonymy can cause mental slips although it is inevitable to explain one word whith the other synonym to it.

Key Words: Fatiha, etymologycally, semantic

الكلمات المفتاحية: الفروق الدلالية، الترادف، الدلالة، الحمد، الشكر، المدح، الثناء

مقدمة

دور الألفاظ في اللغة كدور الانسان في المجتمع، لشبهها تتكون منها الجمل والعبارات، و تكمن في طيها معاني مستقلة، وفي كونها مجردة من نظم كلمات أخرى في الجملة، فهي في هذه الحالة كالانسان الذي له جبلية و أوصاف فزيولوجية و روحية و أخلاقية خاصة له. هذا إذا اعتبرناه كفرد مستقل بذاته، أما إذا حسبناه عنصرا أساسيا للمجتمع أو فردا من أفراده كأن يكون استاذا من الأساتذة في المدرسة أو أبا لأولاد كغيره من الناس، وله في هذه الحالة أدوار متنوعة

*أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الألهيات – جامعة الجمهورية/ تركيا (yavuz@cumhuriyet.edu.tr).

يؤديها في حياته الاجتماعية. واللفظ كذلك فانه في كل سياق من خلال نظم الكلام يؤدي وظيفة دلالية مستقلة، لكنه أيًا كانت صياغته فلا يتجرد عن اطار دلالته فانه يشغل موقعا جزئيا داخلا في هذا الاطار ولا يخرج منه. "ان اللغة بهذا التصور مؤسسة اجتماعية رصيدها الكلمات التي تتفاعل مع أصحابها الذين يحددون دلالتها المختلفة ، واذا كانت اللغة تعمل بوصفها نظاما فهي ليست نظاما من العلاقات الثابتة بل هي نظام من العلاقات المتغيرة وهي في الوقت نفسه لا تستمد وجودها بذاتها ولكن من خلال علاقاتها بغيرها ."[1]

وأما فيما يخص بالبحث فان البعض من الألفاظ قد أصبحت مصطلحات لها مفاهيمها الخاصة في الأذهان، كما أنها تتضمن المعتقدات الدينية و الأخلاقية والسلوكية ،وأما البعض الآخر من ألألفاظ لم تأخذ طابعا اصطلاحيا بمعنى الكلمة للمصطلح، و انما بقيت مفردات لغوية عادية ، فنظرا الى ما هو عليه الألفاظ من تناولات مختلفة فقد قمت بتناولها تحت عنوانين، :" المدلولات اللغوية " ما اذا كان اللفظ له طابع واحد ، أما اذا كان له طابعان فوضعتها تحت عنوان " المدلولات الاصطلاحية"، والجدير بالذكر ان ما يندرج تحت عنوان "المدلولات اللغوية " يتناول مفاهيم تاريخية للكلمة وذلك حددت استخدامها بنـــزول الوحي وبما قبله. وما يخص بعنوان " المدلولات الاصطلاحية" فتناولت فيه المفاهيم التي قد اصطلح عليه اللفظ من اعتقاد أو سلوك...الخ.

وخلاصة القول فبناء على هذه الفكرة سأحاول أن أتناول معاني بعض الألفاظ المفسَرة في سورة الفاتحة والمفسِرة التي جاءت في بعض التفاسير وكتب اللغة شرحا و توضيحا لها. انما اخترت هذا العنوان لعقد مقارنة بين كل من الألفاظ، لأن كثيرا من الألفاظ يظنها الناس مترادفة من أوجه مختلفة. و إن خيِّل بأن بينها بعض التشابه في تأدية المعنى أو المعنى الوضعي الا أن بينها تباينا أو تغايرا بحيث لايمكن أن يقف عليه الانسان الا بعقد مقارنة بينها .

وأما اختياري القرآن محورا لتطبيق البحث الدلالي فهو لكونه أوثق و أفصح كتاب في العربية [2] ، فهو ذو طابع دلالي خاص يتميز بدقة خطابية وجمالية من إفاضات في هذا المجال على سنن العرب الأقحاح.

ومن هذا المنطلق فقد أردت أن أخطو خطوة على نهج ما تلخصته عسى أن يكون أدل لمعرفة الألفاظ المترادفة اذ يمكن أن يطلع المُهتَم على لفظ مفسَر ومفسر في آن واحد، فيكتشف الفارق الدقيق فيدرك ابعاده بعقد مقارنة بينها، لأن ذلك أفضل طريقة لمعرفة الدقائق، فبناء على ذلك سأضع الألفاظ المتقاربة الدلالة جنبا الى جنب ليس بأسلوب المقارنة بالذات وانما بتناول المعاني كلاً على حدة بوضعها تلو الآخر حتى يقف المطلع على دقائق و نكة دلالات الألفاظ فيستنبط الفروق هو بنفسه. وأكثر جدارة بالذكر من هذه النقطة هي أن من خلال هذا العرض المنهجي سوف يكون فسح المعاني قد عرضت أمام القارئ، وبخاصة فيما يتعلق بدلالات الألفاظ المفسَرة. والغرض من هذا العمل ليس شرح الألفاظ المفسِرة وانما هو بيان الفروق الدلالية الكامنة حسب الامكانات الموجودة. وبالاختصار ان هذا البحث محاولة بيان بأن اللألفاظ المتشابهة الدلالة لن تساوى في مدلولاتـــها أيا كان اشتراكها في معانيها.

---

[1] – التحليل الدلالي احراآته ومناهجه ، لكريم زكي حسام الدين ، ص 11/2 ، دار غريب ، القاهرة ، 2000.

[2] Arap-İslam Kültüründe Yenilikçi Yaklaşımlar (ترجمة لكتاب "مناهج تجديد في النحو والبلاغة و التفسير والأدب، لأمين الخولي") ، ص207 ، (ترجمة الى اللغة التركية، M. Hakkı Suçin،Emrullah İşler) Kitabiyyat, Ankara, 2006.

مدخل

قبل أن نخوض في موضوع الدلالة وما يتعلق بـــها يجدر بنا أن نلقي نظرة عامة الى مؤسسي هذا المجال، فلا شك أن اللغوي الفرنسي ميشال بريال (M.Breal) هو من أوائل من اهتم في الغرب بدراسة المعاني بذاتـــها ، وشاركه بعده في آراءه وعنايته اللغويان الانجليزيان اجدن (C.K. Ogden) ريتشاردز (I. A. Richards) الذين تناولا نظريتهما من جهتين اثنتين : هما الدال والمدلول، إذ أن الدلالة لدى هذين الباحثين يجب أن يبحث داخل اطار متكامل بين الدال والمدلول دون تجزءة أحدهما عن الآخر [3] . ان مانقصده بالدال هو الصورة الصوتية[4] التي تتبادر مباشرة الى ذهن السامع وبمعنى آخر هو "الادراك النفسي للكلمة الصوتية"[5] . أما المدلول فهو الفكرة التي تشير اليه الدال، [6] بما أن الدال على صلة مباشرة بالفكرة فيجب أن نذكر بأن دلالة الكلمة ليس من الشرط أن تقتصر على مدلولها فقط لأن الكلمات تحدد دلالتها في السياق الذي ترد فيه . هذا من جانب، ومن جانب آخر فان للدال اطارين: اطار خارجي: و هو الذي تمثله ظاهرة حسية فيتمثّل بشكل خاص. واطار داخلي : وهو الظاهرة المعنوية فيتمثل بالمضمون . [7] ولعل افضل عبارة التي توضح دلالة الألفاظ بشكل موجز وصريح هي اللفظ الدال و هو الصفة الخارجية للشكل والمدلول و الفكرة التي يستدعيها اللفظ. [8] وليست بين الدال والمدلول أي بين الكلمة والأشياء علاقة مباشرة اذ لا يوجد طريق مباشر بين الكلمات والأشياء التي تدل عليها هذا الدال فالدورة يجب أن تبدأ عن طريق الفكرة (المدلول) أو الربط الذهني أي عن طريق المضمون العقلي الذي يستدعيه الدال والذي يرتبط بالشيء لأن الأفكار تتولد عن الأشياء بطريق غير مباشر[9].فيظهر أمامنا المثلث المشهور الذي تتضمن ثلاثة عوامل: العامل الأول : الرمز نفسه (sembol)وهوعبارة عن الكلمة المنطوقة المكونة من سلسلة من الأصوات المرتّبة ترتيبا معينا ككلمة "منضدة " مثلا . والعامل الثاني : المضمون العقلي الذي يحضر في ذهن السامع حين يسمع كلمة المنضدة ومثلا هذا المضمون العقلي قد يكون صورة بصرية أو يكون مجرد عملية من عمليات الربط الذهني هذا ما نسميه الربط الذهني (düşünce) و هناك الشيء نفسه الذي ارتبط ذهنيا بشيء آخر ، و هذا الشي قد سميناه " المرتبط ذهنيا " (referans) هذا ما نسميه مثلث ريتشاردز و اجدن . فيتضح من هذه العبارة أن الدال والمدلول أي اللفظ و المعنى بينهما علاقة ثلاثية متبادلة وليس أحدهما مستقل عن الآخر كعلاقة الظرف والمظروف أو كعلاقة الدلو وما فيه .

هذا ما كان عليه المحدثون فيما حملوا على الدال والمدلول من المعاني باختصار شديد. أما اللغويون العرب القدماء فعنايتهم بهذه النظرية التي يحسبها البعض جديدة ، ولكنها في حد ذاتها ليست بجديدة، وكما أنها ليست مبتكرة

---

[3] – ، تطور البحث الدلالي، محمد حسين علي الصغير، ص 13 ، http://www.rafed.net/books/olom-quran/tatawer/01.html .1427-06-03 ؛ التفكير الدلالي عند العرب، لعبد القادر سلامي الجمعة، ص6 ، http://209.160.64.67/articlephp3?id_article=1354, التاريخ 14-07-2006 .

[4] – Berke Vardar Dilbilim Temel Kavramları ve İlkeleri ، ص 76. ؛Berke Vardar, Dilbilim Terimleri Sözlüğü, ص106

[5] – تطور البحث الدلالي، ص 16؛ Ö. Faruk Yavuz, Kuran da Sembolik Dil ص. 26.

[6] – Berke Vardar, Dilbilim Teremleri Sözlüğü ص.106.

[7] – تطور البحث الدلالي ، ص 17.

[8] – المرجع السبق، ص17.

[9] –، دورالكلمة في اللغة، لستيفن اولمان (ترجمة الدكتور كمال محمد بشير) ص 71، مكتبة الشباب، مصر، بدون تاريخ .

من قبل اللغويين الغربيين ، فان من وضع اللبنات الأولى لهذا التخطيط هم اللغويون العرب المسلمون الذين أشاروا الى وجود مناسبة بين اللفظ ومدلوله وبين الصوت والدلالة . [10] ونذكر بعضا منهم على سبيل المثال لاالحصر ، لأن الموضوع يحتاج الى الدراسة بالتفصيل وعقد مقارنة بين المحدثين من علماء الغرب وبين علماء العرب والمسلمين القداماء حتى نستطيع أن نقف على ما هو جديد وغير جديد فيما وصلوا اليه.

و على قدر ما نعلم فأنه لا شك أن من عنى بهذا الفن من اللغويين العرب بمنهجية أدق هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 175 هـ) في كتابه " العين " [11] حيث أشار فيه الخليل الى دلالة الألفاظ بأقرب أسلوب الى اسلوب المحدثين اليوم ثم جاء بعده أبو عثمان الجاحظ (ت: 255 هـ) صاحب " البيان والتبيين "[12] و تحدث فيه عن الدلالة في مضمونها المحدد اليوم. [13]

وأتى بعده أبوالفتح عثمان بن جني (ت : 392 هـ) وصرح بأن " العرب تقارب بين الألفاظ والمعاني اذا كانت عليها أدلة وهما محيط " [14]. وكما ربط ابن جني بين الحس والأصداء و الأصوات والإنفعالات ،حيث عقد في الخصائص بابا بعنوان: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني [15]، وبابا آخر: في قوة اللفظ لقوةالمعنى ، وبابا : في اللدلالة اللفظية والصناعية و المعنوية .[16]

أما أحمد ابن فارس (ت : 395 هـ) وهو صاحب نظرية دلالة الألفاظ، فبين في كتابه " مقاييس اللغة " وكشف فيه الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني في كثير من أوجه وأشار الى تقلبات الجزور في الدلالة على المعاني . [17]

ومما يجب أن نلفت اليه النظر بأن ابن فارس يدرس دلالة كل لفظ متقارب المعاني ويُرجع الى دلالته الخاصة ويُشير الى صفات كل واحد منه مدلّلاً بأن كل لفظ يختلف معناه دون الآخر سواء أكانت هذه الألفاظ أسماء أو أفعالا ، فمثلا: السرب، الصحل[18] و جلس، ذهب و قعد ...الخ.[19]

ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت : 471 هـ) - الذي هو من أقوى حلقات هذه السلسلة - بأن " الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف " [20] ، يعني بها أن الالفاظ تكتسب دلالتها من ترتيبها الخاص داخل النظم، فبذلك يشير عبد القاهر الى أهمية النظم اللغوي في استظهار دلالات مختلفة للألفاظ .

---

[10] - المرجع السبق، ص 27.

[11] -، كتاب العين، لخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ، 1988 ، حيث أحصى الخليل المفردات اللغوية وأحال الى دلالاتها دون الخوض في تفصيلاتها.

[12] - انظر للإلمام أكثر في "البيان والتبيين" تحقيق و شرح حسن السندوبي، دار احياء العلوم، بيروت، 1992

[13] - انظر كنموزج كلمة الرأس، الحلي والسمة، كتاب البيان والتبيين، ص. 731، 732، 773، تطور البحث الدلالي، ص29.

[14] - انظ: كتاب أبي الفتح عثمان ابن الحني، المحتسب (تحقيق، علي النجدي ناصف و عبد الفتاح اسماعيل شلبي) ص6/2 .

[15] - انظر: الخصا ئص لابن جني، 154/2.

[16] - انظر: الخصا ئص، 103/2- 267.

[17] - مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991؛ محمد حسين علي الصغير، المرجع السابق، ص30 - 31

[18] - مقاييس اللغة ، 121/3، 155 ،

[19] - المرجع السابق ، 473/1، 2/ 362، 5/ 108

[20] - ، أسرار البلاغة لعبد القاهرالجرجاني ، ص2 ، منشورات الرضي، قم ، 1404.

ومما لا شك فيه أن الجهود المبذولة في مجال علم الدلالة لا ينحصر على ما ذكرنا من أسماء العلماء الأوائل بل هناك من مشى على دربهم فطوروا هذه النظرية وجعلوها ثمرة ناضجة عبر العصور.

ربما يجد من قرأ السطور السابقة مبررا لنقد ما كتبنا حول من ساهم من العلماء الدلاليين المسلمين دون الاوربيين المعاصرين ظنا منه بأن هذا البحث يجب أن يتناول كل من ساهم هذا المجال قديما كان أو حديثا ، لكن الغرض الذي نهدف اليه من هذا المقال يلزمنا هذا الاختصار الشديد لأنتباه انظار الباحثين الى خلفيات فلسفية لهذا الموضوع ، اذ ان المجال لا يتسع فان موضوع الدلالة موضوع بحث مستقل بذاته .

بعد هذا الاعتذار علّني بينت به مقصودي فأحبّ أن أنتقل الى نقطة ذات أهمية فيما يتعلق بلب موضوعنا البحثي ألا وهو بعض المصطلحات و معانيها التي سوف نقف عليها في حيز مصطلح الدلالة والتي لا بد من التطرق اليها قبل تناول قضية الدلالة وما يدور حولها. وفي هذا الصدد فلننظر الى مصطلح"الكلمة" كجزء من أجزاء الجملة التي تربطها علاقات نحوية مختلفة في داخل النظام الجملي والتي يمكن أن تتجزأ بدورها الى صرفيمات morphomes وصوتيات phonomes فهذه العناصر التي ترشدنا الى تحديد مكان ثابت للكلمة في النظام اللغوي . وبالجملة يمكن تعريفها بأنها " مجموعة من الأصوات المنتظمة في بنية صرفية تدل على مفهوم أو تصور اذا كانت أسماء وهي تدل على فعل أوحدث اذا كانت أفعالا.[21] كما عرف بانها "اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع وهي جنس تحته ثلاثة انواع: ألاسم والفعل والحرف" [22] وفي بعض التعاريف الأخرى وضعوا الكلمة على محورين أساسيين محور لفظي ومحور دلالي[23]. الا أننا حين أردنا أن نفصل ما قيل عن الكلمة ومعناها نرى هناك من يضع بعض الشروط لحد الكلمة وهي:

1- وجود النبر الذي يضع حدا فاصلا بين المقطع الأول والأخير

2- تلائم وانسجام صوتي بين المقاطع

3- الحاق الحروف بين اول الكلمة وآخرها (في بعض اللغات دون الأخرى)[24]

أيا كانت الشروط فالنقطة الجوهرية التي يكاد يتفق عليها علماء اللغة قديما و حديثا هي الجانب الصوتي الجانب الدلالي كما اشرنا اليه، ولكنه من الصعب الاتفاق علي تفاصيل الكلمة لأن لكل وجهة موليها فكل واحد ينظر باعتبارات مختلفة حيث شبه تمام حسان [25] الكلمات بقواعد الشطرنج فان قواعد الشطرنج نظام ينتظمه جدول قوامه المربعات ذات علاقات فيما بينها فالمربعان قد يختلفان من حيث العلاقة الرأسية بأن يكون كل منهما في وصف رأس مختلف عن الآخر وقد يختلفان من حيث علاقة الصف الأفقي ..... فقواعد لعبة الشطرنج ومربعاته كالنظام اللغوي صرفا ونحوا، وقطع الشطرنج المختلفة الشكل والوظيفة كالكلمات، وحركات اللعب نفسها كالكلام الذي يحتاج الى

---

[21] – انظر: التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه لكريم زكي حسم الدين، 3/1، دارغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000،
Berke Vardar Açıklamalı Dilbilim Terimleri Sözlüğü, 181ص, Multılıngual, İstanbul, 2002.

[22] –انظ: شرح المفصل لموفق الدين بن علي بن يعيش، 18/1 ، انتشارات ناصر خسرو، تهران بدون تاريخ؛ بهاء الدين بن عقيل (ت: 697 هـ)، شرح ابن عقيل على الالفية ،تحقيق محي الدين عبد الحميد، 15/1، بدون تاريخ ومكان الطبع؛ محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، شرح الكافية في النحو، ص6 .

[23] –انظر: Sapir, Language, P.25, New York, 1921. ؛ كريم زكي حسان الدين ، نفس المرجع ، 1/ 4 .

[24] – Süheyla Bayrav, Yapısal Dilbilim , ص 1998 Multilingual , 77

[25] – انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان ، ص315، النهضة المصرية العامة، القاهرة، 1985

اللغة بما فيها من أنظمة وكلمات. ومن جهة أخرى أن الكلمة كمفرد معجمي صامت وهي جزء من أجزاء اللغة فيتصير الكلمات ألفاظا عند استخدامها بحسب الأنظمة اللغوية "فالمتكلم اذاً يحول الكلمات والنظم من وادي القوة الى وادي الفعل"[26] حين تنتقل الكلمة من وادي القوة الى وادي الفعل وبعبارة أخرى حين يتلفظها المتكلم يحولها من الصورة الى الحقيقة الحسية سمعيا أو بصريا فتتحول الكلمة الى طابع الكلام فبذلك تنقلب الكلمة من طابع الصمت الى طابع الحركة .[27] فحينئذ يكتسب الكلام مكسبا مختلفا غير ما كان عليه حين كانت الكلمة صامتة ، وهو كسب دلالي، لأن هذا الكسب لغوية بين الصوت والمعنى، وانطولوجية بين الاسم والمسمى ومنطقية بين الفاعل والمسند حيث أن العرب قسم الدلالة الى عقلية وهي أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية تنقله من أحدهما الى الآخر .[28] كعلاقة الفاعل والمسند كما سبق ذكره آنفا، والى طبيعية وهي أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية، كعلاقة الصوت والمعنى، ودلالة وضعية كدلالة اللفظ على معناه[29].

يجب أن نفرق هنا بين المعنى والدلالة، لأنه كثيرا ما يختلط مفهومهما و يتداخلان ، وان كان البعض يعتمد على الآخر، وأما المعنى فان دراسته فرع من علم الاشارات التي يتناول الطريقة التي ينتقل بها المعنى، وارتباط الدلالة بالمعنى ارتباط الكل بالجزء ، وان معنى كل منهما يقوم على الآخر لأن معرفة أحدهما يحتاج الى معرفة الآخر وان أحدهما من الناحية المنطقية والنفسية ليكون أساسا لمعرفة الآخر، وان العلاقة بين المعنى والدلالة ترتبط ارتباطا عكسيا من حيث التوسع والتخصيص، فالدلالة أوسع من المعنى وأقل تخصيصا ، وهذا يعني أنه كلما توسعت الدلالة صغر المعنى، وكلما تخصص المعنى توسعت الدلالة، فمثلا دلالة حيوان أوسع من دلالة الذئب، فكل الذئآب حيوانات ولكن ليس كل الحيوانات ذئآب ، ومعنى الذئب أكثر تحديدا وتخصيصا من دلالات الحيوان. [30]

وهناك من يضم الى المعنى لفظ "المعجم" لفظ "المقام" والفظ "المقال" فيولد مفاهيم مختلفة الدلالة وبطبيعة الحال يطلع أمامنا الشكل التالي:[31]

---

[26] -انظر: المرجع السابق، ص317.

[27] - كريم زكي حسام الدين، نفس المرجع، 7/1.

[28] - http://www.annabaa.org/nbahome/nba79/029.htm ص3 التاريخ: 1427-6-4

[29] -المرجع السابق،ص 3

[30] - المعنى وتوليد الدلالات في شعر، السياب لقاسم البرسيم ، ص2/1 http://iraqcp.org/myweb30/30040913basam.htm

[31] - انظر اللغة العربية معناها ومبناها، ص 339. الملاحظة: اني قد تصرفت في الشكل أعلاه تصرفا نسبيا نظرا بأن المعنى المعجمي أخص من المعنى الدلالي بمعنى أن المعنى الدلالي أوسع من المعنى المعجمي.

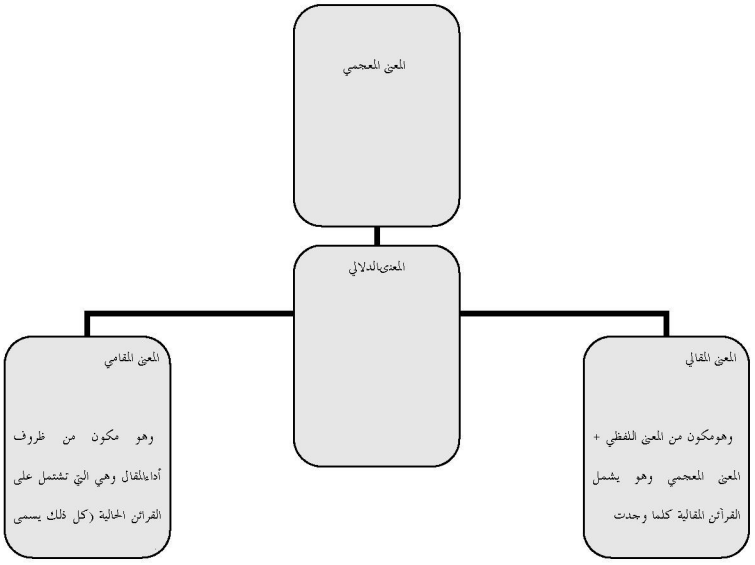

اذا ما أردنا أن نفهم هذا الشكل نستطيع أن نستخلص ما يلي : ان الألفاظ لم توضع ولم تستعمل لتعيين المسميات بذاتها فهي محركة للمعاني الرمزية . والانسان يمتلك من تجاربه وتجارب سابقيه رصيدا هائلا من الصور الذهنية ، فعندما يقول مثلا : "نهر" لا يمكن أن يشير هذا اللفظ في نفوسنا شيئا ليس في ذهننا عن صورة النهر ، فاللفظ رمز محرك تحرك الصورة، والصورة شئ معقد ، و كل معنى حادث عن تداخل دائم بين سلسلة من العلاقات أو على علاقات بشرية بجملتها، وهو ما نسميه المعنى[32] حيث أن المعنى المقالي والمعنى المقامي كما قسمه تمام حسان يضعان اطارا أوسع للمعنى الدلالي. حيث وضعنا الشكل السابق تأكيدا على خطورة اختلاف موضعية اللفظ الدال وما ينتج منه من معان مختلفة، و عدم اتحادية المدلول ولو اتفق في اللفظ الدال.

بقي لنا أن نكشف الفرق بين علم المعنى و علم الدلالة اللذيْن قد يلتبسان أحيانا، فعلم المعنى علم بلاغي وظيفته تتبع خواص تركيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الإستحسان ليتجنب المستخدم من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ، فنحن هنا امام علم معياري، أما مع علم الدلالة فنحن أمام علم وصفي تحليلي ينطلق محللو الكلمة الى اكتشاف أوسع من العلاقات التي تربط بين الوحدات اللغوية المختلفة ، وأهم العلاقات التي يدرسها علم الدلالة والتي أصبح يُصنف وفق ما هو عليها هي العلاقة بين الدال والمدلول [33] . فهذه العلاقات الترابطية بين الدال والمدلول اما

---

[32] – التفكيرالدلالي عند العرب لعبد القادر سلامي الجمعة، مجلة ديوان العرب، ص2http://209.160.64.62/article.php3?id_article=13542.

[33] –المرجع السابق، ص 4.

تكون تلاؤمية اذاكانت افقية ، أواستبدالية اذا كانت عمودية ، وهذا الموقع لا نفهمه الا بدقة النظر الى بنية الكلام والمحتوى الدلالي معا ، اذ أن الكلمة لها علاقة متينة في اكتشاف معاني تختلف عن بنية النظام اللغوي [34].

بعد أن أوجزنا المراحل الدلالية التي أبديْنا بها من صرفيمات وصوتيات اللتين هما أساسان للكلمة وبعد ذلك العلاقات الترابطية في داخل النظام اللغوي ينبغي أن نتناول قضية ظاهرة الترادف التي سنبني عليها دراستنا.

الترادف:

عرف اللغويون بأن المترادف هو الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد أو على نفس المفهوم، [35] لكنه يجب ألا يلتبس الأمرهنا بين المشترك اللفظي والترادف فاهما يفترقان تفرقا جزريا لأن المشترك اللفظي هو دلالة اللفظ الواحد الى أكثر من معنى أو تفهم أكثر من وجه[36] أو كون اللفظ المفرد تدل على كمية اكثر من الدلالات، مثل كلمة yüz في اللغة التركية التي تستخدم في معنى مائة كعدد والوجه و غيرها حسب موقعها.[37] أما الترادف الذي يشكل لب موضوعنا الدراسي هو المصطلح الذي غالبا ما تستخدم على غير موضعه تحسبا بأن بعض الألفاظ المتعددة تدل على نفس المدلول ، لكن ما وصل اليه اللغويون هو أنه لاتوجد في داخل أية لغة كلمة أصيلة تدل على المعنى نفسه. [38] و بالنسبة لما توجد من الألفاظ التي يحسبها البعض كلها عين الآخر فهي في حد ذاتها تتباين من وجهة أخرى مثل ما توصل اليه دو هامر De Hammer في جمع أكثر من 5644 لفظا لشؤون الجَمَل الذي هو رفيق الأعرابي في الصحراء و مؤنسه في وحشته ،و هو ليس من المستغرب أن يصل الى هذه الكمية الضخمة، لأن دو هامر لم يقصر بحثه على أسماء الجَمَل ومرادفاته بل جمع كل ما يتعلق بشؤونه وبنعوت الجمل في أحواله المختلفة في حسنه وتصرفاته الخلقية وقوته وهزله و طول اقامته في المرعى وحبسه ،و سرعته وبطئه في السير ....الخ. اذن لابد أن تلمح حينئذ فروقا بين هذه الأسماء . [39]
أما بالنسبة لواقعية الترادف في اللغة العربية نفسها فان بعض اللغويين العرب يصفون العربية بكثرة مفرداتها فبالطبع بتنوع دلالاتها، الا أن بعض اللغات العالمية لها نفس الطبع الذي عليها العربية ، فقضية تنوع الدلالات ليست قضية العربية وحدها كما أن قضية الترادف ليست قضية يتناقش عليها اللسانيون في اللغة العربية فقط . أيا كان الأمر لا نشك أن جزور هذه القضية عند علماء المسلمين، خاصة اللغويون منهم يعود الى أصل نشأة اللغة، و الى نقاش بين

---

[34] – نفس ا لمرجع ،ص 4.

[35] – انظر المزهر، لعبد الرحمن السيوطي ، 1/ 402؛ Berke Vardar; Dilbilim Terimleriص 94 ؛ وانظر أيضا للتفصيل دراسات في فقه اللغة لصبحي صالح، ص 292-298 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1388.

[36] – انظر Ahmet Cevizci, Paraigma Felsefe Sözlüğü, s.239 Paradigma , İstanbul, 2002; Palmer, Semantik, s. 82; Doğan Aksan , Her Yönüyle Dil, s 191; Berke VardarDilbilim Terimleri Sözlüğü, s. 62; Şahin Güven, Çokanlamlılık Sorunu, s. 79, Denge yayınları, İstanbul, 2005; Ö. Faruk Yavuz Kuranda Sembolik Dil, s. 59.

، الألفاظ المشتركة المعاني في اللغة العربية لأحمد محمد المعتوق ، طبيعتها – أهميتها – مصادرها ، 30/2 http://www.uqu.edu.sa/majalat/shararamag/mag21/mg_012.htm

[37] – انظر للتفصيل Doğan Aksan Her Yönüyle Dil , s. 191;
دراسات في فقه اللغة ، ص 301، دار العلم للملايين ، بيروت ، بدون تاريخ

[38] Aksan Her Yönüyle Dil, – ص 192

[39] – انظر: فقه اللغة، ص293-296

توقيفية اللغة واصطلاحيتها، فيقول من يرى بالتوقيف بأن من العبث أن يأتي الشارع الحكيم بالترادف فلكل كلمة دلالة وعلى ذلك فانه لا ترادف في اللغة [40].واليه ذهب أبو الهلال العسكري (وفاته بعد أربعمائة هجرية) [41] والمبرد (ت. 210 هـ) صاحب كتاب "الكامل"[42] ، و أبو علي الفارسي (ت. 377 هـ) وابن فارس (ت.395 هـ)[43] ، وابن الأنباري (ت. 377 هـ) [44] وأمثاله من القدامى . والمحدثون من الغرب ومن سلك مسلكهم في البحوث اللغوية ذهبوا الى مثل ما ذهب اليه بعض منكري الترادف من العلماء العربية فقالوا: بأنه ليس من الممكن أن تعيش كلمتان ترادف معناها في لغة واحدة، فان وجدنا فانهما اما تعودان الى لهجتين مختلفين في لغة واحدة مثل كلمة fall بمعنى الخريف ببعض الأقاليم في أمريكا وانجلترا outumn في بعض الأقاليم الأخرى . وإما تعودان الى موضع الاستخدام في اللغة نفسها مثل كلمة nasty smell التي بمعنى الرائحة الكريهة وهي في ضمن صياغ آخر تبدل بالكلمتين an obnoxious effluvium اللتين تدلان على نفس المعنى –الا أن هذا الاستخدام في غير ما استخدم كلمة nasty smell كما ذكرنا – واما من البعد العاطفي للكلمة ففي هذا النوع من التشابه يبقى المعنى الادراكي للكلمة كما هو، لايتغير مثل كلمة statesman- politician و hide-conceal اللتين تدلان على معنى رجل الدولة، الا أن كل هاتين الكلمتين تتشابه بعضها البعض في الدلالة فتتفق في معانيها الادراكية ولكنها تختلف في معانيها العاطفية . أيا كان التباين بين الكلمات المتشابهة الدلالة فان بينها نقطة التطابق وهي التي يستفيد منها المعجميون في توضيح معاني كلمات أخرى [45] . و أما من يؤمن بواقعية الترادف أمثال الآمدي فيرون بأن هناك كلمات مختلفة الألفاظ ومتفقة المعاني، فيستدل هؤلاء على صحة رأيهم بأدلة عقلية استخرجوها من الآية التي تتحدث عن تعليم آدم الأسماء، [46] منطلقين من اصطلاحية اللغة[47]، والجدير بالذكر أن دراستنا هذه ليست قائمة علي اثبات الترادف أوعدمه وانما كان الهدف من هذة المقدمة البسيطة هو السرد السريع تمهيدا لما سنبني عليه بحثنا في الفروق الدلالية بين الألفاظ المفسرة والمفسرة التي قد تظن أنها نفس ما تدل عليها الدلالات اللغوية والاصطلاحية ، فلذلك لا جدوى من تطويل هذا الموضوع .

---

[40] – انظر: قضية الترادف، النظرية والتطبيق لعبد الرحمن بن حسن المحسني ، ص4 ، http://www.fykr.net/viewtopic.php?t=991

[41] – وهو صاحب كتاب" الفروق اللغوية " الذي يحاول ان يضع لكل كلمة دلالة خاصة ويفسسر الفرق الدلالية بين كل منها. انظر للتفصيل كتاب أبي هلال العسكري.

[42] –المبرد، للكامل، (تحقيق و تعليق الدكتورمحمد أحمدالدالي) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993

[43] – وهو صاحب كتاب " كتاب المقاييس في اللغة". وينظرأيضا الى كتاب صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة ص 295-296، دار العلم للملايين، بيروت ، 1388

[44] – وهو صاحب كتاب" الأد ضاد"

[45] – انظر: F.R.Palmer, Semantik (ترجمه الى اللغة التركية Ramazan Ertürk) ص 77-79 2001, Ankara, Kitabiyyat,

يرجع لأستفسار أكثرالى كتاب دور الكلمة في اللغة لستيفن اولمان، ص 110 -120

[46] – انظر: سورة البقرة ، 31

[47] – انظرللتفصيل قضية الترادف، النظرية والتطبيق، نفس المرجع ص 5 .

* الإحليل جمعه احاليل وهو مجرى اللبن من الثدي أو مجرى البول من الانسان.

و بعد هذا العرض السريع حري بنا أن نخوض في لب موضوعنا الذي قد أخذنا أمثلتها من أول سورة القرآن الكريم انطلاقا من قبول نظرية عدم امكانية الترادف في اللغة وايمانا بوجود التباين بين كل ما هو متباين .

لفظ "الحمد":

المدلولات اللغوية:

الحمد لغة مصدر حمد يحمد ، وهو نقيض الذم ، يقال : أحمدته بمعنى وجدته حميدا أي محمود الفعال اذا كثرت خصاله المحمودة[48] ، كما يقال أيضا: اني أحمدت اليكم غسل الإحليل * أي اني أرضى لكم ذلك .[49] وكما جاء في القرآن " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" [50] بمعنى مقاما مرضيا .

قال الأعشى :

أحَمِدْتَ اذ نجّيتَ بالأمس صِرمةً لها غَدَداتٌ واللواحِقُ تَلحق[51]

وفي حين استخدمه العرب في معنى الثناء والندا على الجميل سواء أكان نعمة أم غير نعمة ، فلا يكون الا على احسان ، تقول : حمدت الرجل على انعامه و حمدته على حسبه وشجاعته [52] رغم أن شجاعة الرجل وحسبه ليس انعاما له ولكن يصح للانسان أن يحمد نفسه اذا قام بعمل صالح . فيقول مثلا : حمدت نفسي على ما قدمت من الانجازات الحسنة في مجال العلم.

ان الحمد اللغوي لايكون الا على الأفعال الاختيارية أي أنه اذا حمد واحد على الصفات الذاتية فانه اما قد قصد به حمدا لغويا ففي هذه الحالة يرجع القصد الى معنى يترتب عليها بعض الآثار الاختيارية . أو قصد به معنى عرفيا فهذا القصد يعلق المعنى بذات المحمود ، فالحمد فيها يؤدي معنى مجازيا عن الرضا ، [53] كما أن الحمد من جانب يشترط صدوره عن علم لا ظن ، [54] بمعنى لا يمدح المظنون و انما يمدح المعلوم .

---

[48] – ، معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 3/100، دار الجيل، بيروت، 1991.

[49] – انظر: كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي، (تحقيق مهدي المخزومي) 3/188-189، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، 1988؛ ، كتاب الأفعال لابن القوطية ،(تحقيق علي فورة) ص43، مكتبة الخنجي، القاهرة ، 1993.

[50] – سورة الإسراء، 79

[51] – ديوان أعشى الكثير، (ميمون بن قيس)ص. 120، دار الباز للنشرو التوزيع، مكة،1987؛ البيت موجود في كتاب العين للخليل، 3/188. الصرمة: القطعة من اللابل، القدرات: الباقيات، الواحدة غدرة .

[52] – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجارالله الزمخشري ، 1/ 8، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ؛ كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق أحمد سليم الحمصي، ص52- 54، طرابلس – لبنان ، 1994؛ كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، ص 98، مكتبة لبنان، بيروت، 1990.

[53] – انظر: روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار احياءالتراث العربي، بيروت، Hamdi Yazır, Hak Dini Kuran Dili, 1/ 70 , Azim Yayıncılık, İstanbul ; بدون تاريخ؛ ابو هلال العسكري، نفس المرجع ، ص 83

[54] – انظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويا في معاني التنزيل، لعلي بن محمد بن ابراهيم البغدادي، 1/ 28، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 ؛ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتب الكريم، لأبي السعود، 1/ 12-13، دار الفكر، بيروت ، بدون تاريخ؛ روح المعاني، 1/70 .

ومن ناحية الصيغة فالحمد أبلغ من أن يقال : " أحمد الله " أو " والله أحمد" لأن الأول يحتمل الاستقبال فيكون وعدا لا انجازا ، وكونه حقيقة واقعة ليس له محل للاحتمال. [55] أما الذي جاء في اسلوب الحصر انما يكون في مقام التشكيك أو التأكيد اذا كان المخاطب شاكا أو ما الى ذلك حاجة. أيا كان الاسلوب فصيغة " الحمد" أي المصدر تفيد اختصاص الحمد لله والاستعانة به و ماهنالك من المعاني لا يفيد ما يفيده " الحمد لله" لأن في دلالة هذه الصيغة معنى أن الله محمود أزلي و أبدي بحمده القديم سواء حمد أو لم يحمد.[56]

المدلولات الاصطلاحية لكلمة الحمد :

وفيما يتعلق بمدلولاته الاصطلحية فان الحمد مأمور به مطلقا، كما جاء في قوله تعالى "قل الحمد لله " [57] وكما جاء في الأثر " من لم يحمد الناس لم يحمد الله " فهو تكملة على الانسان يحب الله أن يسمعه على لسان عبده. [58] و من مدلولاته الاصطلاحية أيضا أن الحمد بما يحتويه على معنى الثناء المدح على النعمة وغيرها على حدّ سوى، وهو ليس من الشرط أن تصل النعمة الى الحامد، [59] فهو أعلى كعبا و أظهر عبودية ، فان فيه اشارة الى احسان الله الى عباده، فلا يكون العبد محسنا الا اذا كان الله عالما قادرا على المعرفة بمواقع الحاجات، ليقدر علي سدها للعباد. وانطلاقا من هذا المعنى الذي يفيد استغناء الله عن جميع الموجوجات و يمكننا أن ندخل التسبيح في اطار الحمد فيكون التسبيح أخص من الحمد لأن في الحمد معنى الاحسان والاحسان يتطلب علما وقدرة كما أوضحنا سالفا ،ومن زاوية أخرى نستطيع أن نقول: ان كل تسبيح حمد وليس كل حمد تسبيحا ، لأن التسبيح تنـــزيه صفات الله السلبية من النقصان فحسب أما حمد فاجلال الله تعالى في صفاته الثبوتية فهو أعم من التسبيح بهذا الإعتبار .[60] وقد قسم السيد الشريف الجرجاني الحمد الاصطلاحي باعتبارات مختلفة فسماه: "الحمد الفعلي" ما اذا كان اتيان الحمد باللأعمال البدنية . كما سماه الحمد القولي، فيما اذا كان الحمد باللسان ،وسماه أيضا "الحمد الحالي"، ما اذا كان الحمد بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكلمات العلمية والعملية والتخلق باللأخلاق الالهية . وعنده قسم آخر هو الحمد العرفي : وهو ما كان معروفا تلقائيا تجاه ما يشعر الْمُنعَم عليه من شعور التعظيم بسبب كونه منعما .[61] لذلك قد يصح مدح الانسان بطول اقامته و صباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه. [62] وقد يفهم من لفظ "أحمد " مثلا –الذي هو من مشتقات الحمد– الرسول باسمه و فعله وأخلاقه و أحواله اذا كان المقام صالحا لهذا الاستعمال كما جاء في قوله تعالى : "و مبشرا برسول

---

[55] – الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء ، ص269، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ

[56] – الكليات، معجم المصطلحات والفروق، ص369

[57] – سورة النحل، 59.

[58] – انظر: روح المعاني ، 1/ 70.

[59] – الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص535

[60] – المرجع السابق، 71/1 .

[61] – راجع: ، كتاب التعريفات، للسيدالشريف الجرجاني، ص98.

[62] – مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الاصفهاني (تحقيقصفوان عدنان داوودي)ص 256، دار العلم، دمشق، 1992

يأتي من بعدي اسمه أحمد " [63] حسب المعنى المقامي الذي قد أشرنا اليه بالشكل سابقا . و كذلك " محمد " في داخل سياق الآية " محمد رسول الله " [64] و أضاف أبو البقاء أقساما أخرى الى ما قال الجرجاني عن الحمد باعتبارات اخرى، مثل :الحمد الحالي: وهو ما يكون بحسب الروح والقلب، كالاتصاف بالكلمات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الالهية والنبوية . والحمد الذاتي : فهو على سنة المتكلمين ظهور الذات في ذاته لذاته . [65] هذه الإعتبارات كلها اعتبارات من قبل العبد لا المعبود لأن الحمد اذا اضيف الى المعبود أصبح صفة من صفاته، أواسما من أسماءه، ففي ذلك يفيد الحمد معنى مطلقا، كما جاء في قوله تعالى : " وكان الله غنيا حميدا " [66] ، فينبغي أن نفهم الآية بأن الله محمود في ذاته سواء أ كان العباد حمدوه أم لم يحمدوه [67] ، فلا يدخل في تقسيمات السيد الشريف الجرجاني (ت. 816 هـ) فان الجوارح صفات المخلوق .

ومن ناحية الأداء فان الحمد يكون باللسان وحده لأن ذلك أحد شعب الشكر حيث جاء في الحديث : " الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبدا لم يحمده " [68] أما ما يتعلق بالمخاطب فان الحمد افادة لتعظيم وتفخيم المحمود ، [69] فبطبيعة الحال تخص الحمد بمن يعرف أعماق أو كنه ما يمدحه من الجميل وبتعبير آخر ليس الحمد موجها من قبل من لا يدرك المحاسن، فهو اخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال. و بالنسبة لما فهمناه بكلمة " الحمد" في سورة آ ل عمران وسورة التوبة[70] وصفا لما ينبغي أن يكون المؤمن من الخصال: وهو معنى يعم كل ما يحتوي معنى الحمد من المدح والشكر والثناء وغيرها من المعاني فلا يمكن أن ينحصر في اطار احدى المعاني السابقة، بَيْدَ أنه من الجائز أن نذكر احدى المعاني أكثر تركيزا من الآخر لكن هذا التركيز لا يلزم تجريده من المعاني الأخرى .اذا أردنا أن تستخلص ما قلنا عن " الحمد" فنقول انها:

ا- نقيض الذم.

ب- الثناء على الجميل سواء اكان نعمة أم غير نعمة .

ت- يصح أن يحمد الانسان على نفسه.

ث- يصدر من صاحبه عن علم لا ظن .

---

[63] - سورة الصف، 6

[64] - سورة الفتح، 29

[65] - الكليات، أبوالبقاء ، ص368

[66] - سورة النساء ، 131.

[67] - روح المعاني، الآلوسي ، 164/5 .

[68] - أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبدالله بن عمر (رض) مرفوعا، راجع حاشية تفسير الزمخشري للحافظ بن حجر العسقلاني 9/1 ؛ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1210 هـ)، 1/ 19، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

[69] - انظر: روح المعاني ، 1/ 70 ؛ محمد بن العمادي (أبي السعود) (ت : 901 هـ) ارشاد عقل السليم الى مزايا القرآن العظيم(تفسير أبي السعود) 1/ 12، دار احياء التراث العربي، بيروت ن بدون التاريخ.

[70] - ارجع للتفصيل معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية ، 1/ 297، انتشارات ناصر خسرو ظهران، 1393.

ج- تتطلب علما وقدرة.

المدح :

المدلولات اللغوية:

المدح: من مدح يمدح، وهو نقيض الذم، وجمعه: مدائح ومدَح، فيقال: مدحته و امتدحته [71] . والمصدر: المدح، والمدحة: اسم ، وجمعه على الأماديح على غيرقياس، بمعنى نقيض الهجاء[72] و هو حسن الثناء . [73] قال أبو ذؤيب الهذلي :

لو أن مِدْحة حيٍ أُنْشَرتْ أحداً أحيا أَبُوّتَكَ الشّمَّ الأماديحُ[74]

وقد استخدمه العرب في معنى الوصف بالجميل، وفي معنى السعة، فيقال مثلا : أمدحت الأرض اذا اتّسعتْ وكأن معنى مدحته في معنى وسعت شكره، والمدح في هذا المعنى يكون في صفة الحال والهيئة لا غير. [75]

قال الراعي في وصف الفرس :

فلما سقيناها العَكيسَ[76] تَمَدَّحتْ خَواصِرُها وازداد رَشْحاً وَرِيدُها [77] .

القاسم المشترك بين معنى الثناء بالجميل و الاتساع هو الرضاء ، لأن في الرضا اتساعاً في القلب و ان كان على سبيل المجاز.

أما المدلول الاصطلاحي لـــ"المدح" غالبا ما يدور حول معناه اللغوي، سواء كان المدائح في الشعركمدح الشاعر نفسه أو عشيرته و قبيلته أو كمدح واحد لآخر ، أوما شابه ذلك كله يلف حول المعنى اللغوي للمدح لا يبتعد عنه كثيرا. فخلاصة ما لهذا اللفظ انه: نقيض الذم و حسن الثناء وانه يكون في صفة الحال والهيئة لا غير.

---

[71] – انظر: كتاب العين، 188/1 ؛ مجمل اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس (ت : 395 هـــ) تحقيق زهير عبد الحسن سلطان ، 826/3 ، مؤسسة الرسالة، العراق ، 1986 .

[72] – انظر: لسان العرب، لابن منظور، نفس المرجع، 47/3.

[73] – لسان العرب ، 589/2 ؛ الكليات، ص857

[74] –، تاج اللغة وصحاح العربية، لاسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، 403/1 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1984 ؛ البيت موجود أيضا في مجمل اللغة برواية اخرى 826/3، و انظر أيضا في مقاييس اللغة باختلاف بعض الألفاظ : ولوكان مِدحة حي منشرا أحدا أحيا أباكن يا ليلي، الأماديح، ص.5/ 308 . يريد به الشاعر: بأنانتشار المدح بين القبيلة سيبكون سببا لاحياء خواطر أحداده. والذي يهمنا هنا هو بأن " المدح " استخدم في معنى نقيض الذم.

[75] – انظرتاج العروس ، 4/ 199. ابن منظور، نفس المرجع ، 589/2

[76] – العكيس: لبن يخلط بمرق. معنى البيت: فلما اطعمت الفرس مما يفيدها من الأطعمة ازدادت سمنا.

[77] – البيت من الطويل وهو للراعي النميري في ديوانه (عبيد بن حسين) تحقيق راينهت فايبرت ، ص. 93 ، بيروت ، 1980، العكيس لبن يخلط بمرق ،تمدحت خواص الماشية اذاتسعت شبعا مثل ما قال الراعي في البيت . انظر لسان العرب .590/2 ، تاج العرروس 200/4.

الشكر :

مدلولاته اللغوية :

وهو من شكر يشكر شكرا أو شكورا أو شكرانا , وهو اذا ما استعمل للدابة استعمل بمعنى ما يسمن بالعلف اليسير. وجاء أيضا في معنى كثرة الحليب، وذلك بعد أن تغذت الدابة من بقل أو مرعى . ويقال لمن نزل من القوم منـــزلا، وقدم لهم شيئا من بقل للأكل: شكرالقوم . [78] و قيل هو مقلوب عن الكشر الذي بمعنى الكشف، فهو ضد الكفر الذي يستخدمه العرب في معنى نسيان النعمة و سترها.[79] كما يقال: : شكر فلان بعد البخل ،أي صار سخيا . و اطلق الشكر أيضا على الشعر الصغار في معرفة الفرس . [80] واستخدم في معنى الشجر الذي ينبت حول الشجر ، ،عندما قيل شكرت الشجرة يقصدبه الأشجار والأوراق التي تخرج منها والتي نبت في اصول الكبار. قال الشاعر :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ ابنُه متى عِضَةَ ما يتنبتن شَكيرُها [81]

أي ما يتنبتن من حولها أشجار اخرى . وقال ذوالرمة :

ألا هل ترى أظعان ميٍّ كأنها ذُرَيِّ أثأب راش الغصون شَكيرُها [82]

وقال شاعر آخر :

بروك بأعلى ذي البُليد كأنها صَرِيمة نخل مغطئِلٌ شكيرها [83]

و بالاضافة الى ذلك أن امرئ القيس و الأعشى وهما من فحول شعراء العرب يستخدمان هذا اللفظ بصيغ مختلفة لكنها على معنى واحد[84]

وخلاصة ما كتبنا واستدللنا بها من الأبيات الشعرية و أقوال العرب مع ما في المراجع من تفاصيل أخرى فان لفظ الشكر وبما فيه بعض مشتقاتها تدل على تكثير و زيادة و اظهار لأن كل ما تنبت من اصول شجرة وما حولها تكون زيادة، وتكون قد ظهرت نبتة اخرى بجانب الأصل .

---

78 – انظر خليل بن أحمد ،كتاب العين ، 5/292-293 ؛أبي هلال العسكري ، نفس المرجع ص53 ؛ المحيط في اللغة ، 6/161 .

79 – الراغب الاصفهاني ، نفس المرجع ص461

80 – انظر محمد بن حسن بن دريد (ت : 321 هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي ، 2/ 732 .

81 – يريد به الشاعر بأن الابن يشبه اباه فمن رأى ظنه هذا فكأن الابن مسروف. البيت من الطويل وهو بلانسبة في خزانة الأدب،لعبد القادر عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، 4/ 22 ، مطبعة الخانجي، مصر، 1981403 ؛ شرح ا لأشموني ، 2/ 497 ؛ شرح شواهدالمغني ، 2/ 761،و في اللسان ذكر اللشطرالثاني للبيت تعبيرا لمعنى الشكير 4/ 426 .

82 – البيت من الطويل في ديوانه ص 530 ؛ لسان العرب 6/ 310 ؛ تاج العروس 17/ 234 ؛ وفي أساس البلاغة لجار الله أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص 263(دار النفائس، بيروت، 1992) ذكر " شَكِرها " بدلا من شكْرُها .

83 – لسان العرب 4/ 426؛ تاج العروس 12/ 232؛ وبلا نسبة في مخصص 11/ 116 .

84 – اني تجنبت من ذكر الأبيات هنا خشية للتورط في موقع مستهجن حيث أن الأبيات ليست مناسبة ذكرها هنا، يرجع اليه للتفصيل ديوان الأعشى ، ص197 ؛حيث قال امرئ القيس : تُخرج الوَد اذا ما أشْجَذَتْ — و تُواريهِ اذا ماتشْتكرْ ، (استخدم" تشتكر" هنا بمعنى يكثر مطرها، انظر ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، ص144، دار المعارف ،القاهرة ، بدون تاريخ؛ لسان العرب 4/425.

المدلولات الاصطلاحية للشكر :

وقد استخدم هذا اللفظ بمعنى عرفان الاحسان و تصور النعمة و اظهارها[85]، الا أنه مقيد بوصولها الى الشاكر [86]. وجاء في القرآن الكريم على صيغة المبالغة " لا نريد منكم جزاء ولا شكورا " [87] لفظ الشكور هنا بمعنى الزيادة، وهو المعنى اللغوي الذي سبق الكلام عليه من قبل. أما الشكور الذي جاء على نفس الصيغة والذي هو اسم من أسماء الله تعالى، صيغت على معنى المعطي الجزيل[88] ، أي يعطي الزيادة أو الكثير . و الجدير بالانتباه الى أن اللفظ هنا له تعلق شديد في معناه الاصطلاحي بمعناه اللغوي . و اذا اطلق في الاستعمال يفيد معنى الثناء على المحسن بذكر احسانه وصفا بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان و الجنان.

و الشكر من الله تعالى زيادة بالاحسان، ومن العبد زيادة الثناء لله . [89] والشكر الذي نسب الى النفس في الآية " ومن شكر فانما يشكر لنفسه " ليس من قبيل شكر الانسان على نفسه وانما هو من قبيل شكر الانسان على الله لزيادة المنفعة لنفسه " لأن الشكر قيد النعمة الموجودة" . [90] وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في مواضع مختلفة بصيغ اخرى. فاذا تأملنا تلك الألفاظ نجدها قد استخدم في معاني نستطيع أن نضعها في اطار أضرب ثلاثة، وهي : شكر القلب الذي هو تصور النعمة ، وشكر اللسان الذي هو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح الذي هو مكافاة النعمة بقدراستحقاقه. أما الشكر في الآية " اعملوآل دوود شكرا"[91] فعلى التزام الأضرب الثلاثة للشكر بالقلب واللسان والجوارح . [92] فالملاحظ أن كل أنواعه بدليل أن الله لم يقل اشكروا بل قال "اعملوا" لينبه افادة الشكر في قوله تعالى :"سيجزي الله الشاكرين "[93] فهو الشكر الذي يؤديه المؤمن بسائر الجوارح. اذ أن سياق الكلام يتطلب ذلك لأن الموقف موقف العمل وليس موقف اللسان والقلب .

الشكر بـــهذا الاعتبار يأتي في معنى ضد الكفر، لأن الكفر نسيان النعمة، كما أشرنا اليه سابقا. عندما قال العرب : " دابة شكور " وقد استخدم في معنى أن دابتهم أظهرت سمنها ، أي أنـــها ظهرت فائدة ما أكلت من العلف ولم تكفر ما قدم عليها صاحبها . [94] فالجدير بالاشارة أن علاقة المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي هنا واضحة، فكلتا

---

[85] - الراغب الإصفهاني، نفس المرجع ص461

[86] - أبو البقاء، نفس المرجع، ص535

[87] - سورة الإنسان ، 9

[88] - انظر خليل بن أحمد، نفس المرجع ، 5/ 292 ؛ اسماعيل بن عباد ، المحيط في اللغة ، (ت : 375ه) تحقيق محمد حسن يسين ، 161/6 ، عالم الكتب، بيروت ، 1994 .

[89] - انظر، ان شكرتم وآمنتم وكان الله عليما حكيما، سورة النساء ، الآية، 147،وانظر أيضا آية.....فان الله شاكر عليم ، و سورة البقرة ، الآية ، 158 ،

[90] - انظر جامع الأحكام، 13/ 207 .

[91] - سورة سبأ 13.

[92] - مفردات الفاظ القرآن، ص 471

[93] - سورة آل عمران ، 144- 145.

[94] - انظر الأصفهاني ، نفس المرجع ، ص 461 .

الاستخدامين يلتقيان في واد واحد ، وفي قول الله تعال: (اشكر لي ولوالديك) [95]، (و من شكر فانما يشكر لنفسه) [96] ، (وقليل من عبادي الشكور) [97]، و قال في ابراهيم عليه السلام (شاكرا لأنعمه) [98]، وقال في نوح : (انه كان عبدا شكورا) [99] هذه الآيات وما الى ذلك تدلنا دلالة واضحة على العلاقة اللغوية والاصطلاحية في استخدام الشكر.

وخلاصة ما هنالك من المعاني لهذا المصطلح يفيد معنى الاعتراف بالنعمة، على جهة التعظيم للمنعم، ولا يجوز أن يشكر الانسان على نفسه كما قلنا لأنه يجري مجرى قضاء الدين، ولا يجوز للإنسان على نفسه دين . [100]و عدمه يفيد نسيان النعمة فهو الكفران.

الثناء :

مدلولاته اللغوية :

وهو من فعل ثَنَىَ أي طوق فكل طوق من ذلك ثُنِيٌّ ، يقال ثنى وسادته فجلس عليها ، وثنى رجله فنـــزل [101] . والثني من كل شي هو ما يثنى بعضه على بعض اطباقا ، حتى قيل اذا طوت الحية : اثنيت ، واذا أراد العرب أن يضم الشيء بعضه على بعض: ثنى، و يقال ثنيت الثوب اذا جعلته اثنين ، بمعنى اذا طويته[102] يقول: ثنى رجله عن دابته اذا ضم ساقه الى فخذه فنـــزل عن دابته .[103] ويقال امرأة ثُنى اذا ولدت اثنتين ، سميت سورة الفاتحة بالمثاني لكونـــها تكرر في كل ركعة في الصلاة، و على رأي بعض المعنيين بالقرآن الكريم سمي القرآن كله بالمثاني لقوله تعالى :" كتابا متشابـــها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربـــهم ....." [104] كما أن القصص سميت بذلك لكونها مثناة فيها .[105] وقال امريءالقيس في معلقته :

اذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرض أثناء الوشاح المفصّل [106]

---

[95] – سورة آل عمران ، 145

[96] – سورة النمل ، 40

[97] – سورة سبأ ، 13

[98] – سورة النحل ، 121

[99] – سورة الاسراء ، 3

[100] –انظر: الفروق اللغوية ، ص 52-53- 54.

[101] – أساس البلاغة ، لجارالله أبو القاسم محمود عمر الزمخشري ، دار النفائس، بيروت، 1992 ص 78

[102] – أبو البقاء ، نفس المرجع، ص324

[103] – انظر: كتاب العين، 8/ 242-243 ؛ المحيط في اللغة ، ص179/10 ،

[104] – سورة الزمر ، 23 .

[105] – المحيط في اللغة ، 10/ 180 .

[106] – أثناء الوشاح : ثناياه ، المفصل: الذي فصل بين كل خرزتين منه بلؤلؤ، يعني وقت تعرض الثريا في السماء وقد زعموا انه لبرد الثريا وانما أراد الجوزاء، لأنها لاتتعرض فانها تؤخذ وسط السماء كما ياخذ الوشاح وسط المراة. انظر ديوان امريء القيس ، (الضبط والتصحيح: مصطفى عبد الشافي) ص 114 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1983 ؛ شرح معلقات العشر ، لياسين الأيوبي ص 20 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1995 .

وفي حديث الدعاء : من قال في دبر الفجر وهو ثان رجليه.....الخ[107]،أي طاو رجليه في التشهد قبل أن ينهض، و كما جاء في سورة هود : " ألا انـــهم يثنون صدورهم ليستخفوا ا منه " يطوون ما فيه ويسترون .[108] و جا في حديث آخر : "لا تثنى في الصدقة "[109] أي لاتؤخذ الزكاة في السنة مرتين.

المدلولات الاصطلاحية :

الثناء بمعنى الوصف بخير وهو الكلام الجميل [110]الذي يشعر صاحبه بالتعظيم مطلقا [111] ، و هو اسستخدام في معنى ما اتصف به الانسان مدحا و ذما، ولكن أكثر استعماله في المدح ،[112] مع ذلك خص البعض استخدام مصطلح "الثناء" بالمدح فيقال مثلا :" وقد أثنيت عليه " لقصد المدح والوصف بالجميل ، قال أبو مسلم الهذلي :

يا صخر أو كنتَ تُثني أن سيفكِ مَشـــ فُوقُ الخشيبة لا ناب ولا عصل[113]

يعني الشاعر بـــهذا البيت : أيها الرجل كنت تمدح وتفتخربسيفك لكنه ليس فيه ناب ولا اعوجاج في قبضته ... الخ .

استخدم الثناء كما هو مفهوم من السياق بمعنى الفعل الذي يشعر بتعظيمه .[114]

وقال الراعي النميري :

ثناءٌ تُشْرقُ الاحساب منه به تتودع الحَسَبُ المصونا[115]

---

107 -انظر محمد بن عيسى أبوعيسى الترمذي ، الجامع الصحيح، سنن الترمذي ،(تحقيق أحمد محمد شا كر)، 515/5، داراحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

108 - الآية : 5 ؛ الجامع لأحكام القرآن 9/ 4

109 - الحديث أخرجه أبو عبيدة في غريب الحديث 1 / 98 ؛ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (تحقيق محمود الطناحي ، طاهرالزوادي) ص 1/ 244، القاهرة ؛ مفردات الفاظ القرآن ص178 .

110 - انظر: مجمل اللغة ، 164/1.

111 - انظر: الكليات ، ص 324

112 - انظر: معجم متن اللغة ،لأأحمد رضي 1/ 454 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1957 ؛ محب الدين أبي فيض الواسطي الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق علي شيري، 19/ 258 ، دار الفكر بيروت ،

113 - انظر: كتاب أبي سعيد الحسن السكري ، شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد السنار فراج ، ص 274 ، مكتبة دار العروبة ؛ لسان العرب مادة ثني 124/14 ؛ انظر أيضا لقصيدة الشاعرأبي المثلم الهذيلي عبر الآنترنيت في عنوان " http://www.toarab.ws/modules.php?name=poet&file=showpoem&pmid=2095

العصل" الذي مر بنا في البيت بمعنى الإعوجاج يمدح به الشاعر سيفه بأنه ليس معوجا ولا فيه خلل ما يضر حدته.

114 - انظر: التعريفات ، ص81 .

115 لسان العرب ، 8/ 381 ؛ تهذيب اللغة 3/ 139 ؛ أساس البلاغة، ص. 669، يعني الشاعر بالبيت بأن بعض الأماديح يزيد شرف الممدوح، فان الأماديح حصن لهم ولأحسابهم.

واذا نظرنا الى الأمر من جانب الذاكر المُثني، فنرى تصريحا تاما بما يدل على المذكور و يعرب عن ذاته ، فبطبيعة الحال نرى استحضار الذاكر المذكور في نفسه أو حضوره معه و الذي هوتعبيرٍ عن استجلاء المذكور أي المُثنى عليه .[116] والخلاصة: كل ما له من المعاني ينبني على معنى التكرار أو ضم شيء الى شيء.

خاتمة

وقد تناولنا في هذا البحث معنى الدلالة و ما يتصل بها من تفاصيل وكذلك ظاهرة الترادف و أقوال اللغويين فيها لنسلط الضوءً عليه عسى أن يساعدنا لما نقصده من الفوارق في كشف المعاني الدلالية ل "الحمد" والكلمات المترادفة التي يلجأ اليها اللغويون من مفسري القرآن الكريم ظنا منهم أنها مترادفة لها كالشكر والثناء والمدح . وانطلاقا من مبدأ أن كل لفظ له دلالته الخاصة به ولا يمكن أن ينطبق الألفاظ التي ما يسمونها بعض اللغويون مترادفة في كل ما يحتوي عليه الآخر من دلالات فان القضية في حقيقة الأمر مخالف لطبيعة المخلوق قبل أن يكون مخالفا لحقائق لغوية .

كل ما فعلنا هنا: التأكيد على حقيقة التباين بين كل ما هو مختلف في اللفظ مختلف في المعنى. والإنتباه الى خطورة هذه النقطة لكي لا يلتبس كل من هذه الألفاظ المتشابهة المعاني على القارئ أو السامع . ومن الجدير بالذكر أن كل ما أشرنا اليه من التباين بين الألفاظ المترادفة لم ندرسه بشكل مقارنة أي بوضع كل منها مقابل الآخر ، بل ايضاح دلالالة كل لفظ على حدة كي يتمكن القارئ أن يقارن المفسَر والمفسِر ويفهم بنفسه .

ولقد قمنا أيضا، من خلال دراستنا هذه بالاشارة الى فروق كل لفظ في المعنى، حيث كانت أهم نقطة لغوية يهتم بها النقاد، قديما وحديثا في الشعر والنثر، كما لا تناقش جدارتها بالذكر في فهم ألفاظ القرآن الكريم. و كما أكدنا بهذا البحث أن الألفاظ المفسَرة لا تستغني عنها الألفاظ الأخرى لذلك يجب ان تبحث المعنى المراد ضمن اللفظ المفسَر لا المفسِر وان اضطر اللغويون باللجوء اليه، لأن ذلك قد يؤدي الى انزلاق الذهن الى ما ليس بمقصود. والله تعالى أعلم.

---

116 – انظر: الكليات، ص326